



إسهام يهود الأندلس في النشاط الحرفي والصناعي خلال العهد الزياني.

The contribution of the Jews of al-Andalus to artisanal and industrial activity during the Zayyanid period.

د. عبد الصمد حمزة

Dr. Hamza abdelamad

جامعة يحي فارس، المدية

hamzahistoire2013@gmail.com

د. عبد العزيز حاج كولة

Dr. Abdelaziz Hajkoula

جامعة يحي فارس، المدية

Hadjkoula.abdelaziz@univ-medea.dz

الملخص باللغة العربية

يُبرز النص التاريخي التعايش التاريخي للأقليات غير المسلمة في المجتمعات الإسلامية منذ عهودها المبكرة، مشيرًا إلى سياسة الفتح والتسامح كعاملين رئيسيين في زيادة أعدادهم. يركز على يهود الأندلس الذين عانوا تحت الحكم القوطي ثم ازدهروا اجتماعيًا واقتصاديًا بعد الفتح الإسلامي، حتى طُردوا سنة 1492م مع سقوط غرناطة فاستقروا في المغرب الإسلامي، خاصة المغرب الأوسط. يطرح الإشكالية البحثية: مدى إسهام هؤلاء اليهود في النشاط الحرفي والصناعي خلال العهد الزياني، مع التأثير المتبادل بينهم وبين السكان المحليين.

الكلمات المفتاحية: يهود الأندلس، النشاط الحرفي، النشاط الصناعي، العهد الزياني

Abstract:

The historical text highlights the longstanding coexistence of non-Muslim minorities within Islamic societies since their early eras, pointing to conquest policies and tolerance as primary factors in their population growth..

It focuses on the Jews of al-Andalus, who suffered under Gothic rule but flourished socially and economically following the Islamic conquest, until their expulsion in 1492 CE with the fall of Granada, leading them to settle in Islamic Maghreb regions, particularly Central Maghreb.

The text poses the research question: To what extent did these Jews contribute to craft and industrial activities during the Zayyanid era, alongside mutual influences with local inhabitants?

Keywords: Andalusian Jews, Craft Activities, Industrial Activities, Zayyanid Era



مقدمة

ضمت البلاد الإسلامية منذ العهود المبكرة لها عناصر غير إسلامية ضمن تركيبها الاجتماعية، وعرفت هذه العناصر تطورا في أعدادها بسبب سياسة الفتح الإسلامي لمختلف المناطق من جهة، ومن جهة ثانية سياسة التسامح التي جاء بها الإسلام مع هذه الأقليات.

ومن هذه العناصر التي عاشت في ظل دولة الإسلام، يهود الأندلس الذين ذاقوا الويلات في ظل الحكم القوطي، لكن أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والانسانية تغيرت مع الفتح الإسلامي للبلاد، بل بلغوا في بعض الفترات منزلة اجتماعية راقية، وبسقوط دولة الإسلام وآخر معاقلها بالأندلس سنة 1492م، تم تهجيرهم مع المسلمين، فكانت مناطق المغرب الإسلامي ملاذا لهم.

ولا شك أن استقرارهم بالمنطقة بصفة عامة وفي بلاد المغرب الأوسط بصفة خاصة، سينتج عنه تأثير وتأثر بينهم وبين ساكنة المنطقة في مختلف المجالات، ولهذا تحاول هذه المداخلة أن تتناول جزئية للدراسة، وتعالج الإشكالية التالية: إلى أي مدى أسهم يهود الأندلس في النشاط الحرفي والصناعي خلال العهد الزياني؟

1- يهود الأندلس ضمن المجتمع اليهودي خلال العهد الزياني:

وجد اليهود في بلدان المغرب الإسلامي ملاذا لهم من سطوة وبطش المسيحيين إثر قرارات الطرد المتلاحقة لهم من إسبانيا والدول المسيحية ابتداء من القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي، فاستقروا بها فأثروا بذلك على تركيبها الاجتماعية، إذ انقسم المجتمع اليهودي بعد هذه الهجرات إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- اليهود الأهالي:

وهم اليهود الأقدمون في البلاد أو لابسوا العمامات hamīnefeth baal¹، وأطلقوا على أنفسهم اسم "التوشابيم Tochabim" أي اليهود الأهالي²، أو مثلما تطلق عليهم المصادر اليهودية « les indigènes »، الذين مثلوا الأساس الاجتماعي لليهود في بلاد المغرب منذ أقدم العصور، ورسخت جذورهم في البلاد بسبب التسامح الكبير للمسلمين معهم مقارنة بمعاملة مسيحيي أوروبا أو البيزنطيين لهم ولإخوانهم من قبل، باستثناء الموحدين الذين قوضوا عدة تجمعات يهودية في القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي³.

ب/ يهود الأندلس:

وهم اليهود المطرودون من الدول المسيحية بعد تراجع حكم المسلمين في إسبانيا وصدور قرارات الطرد الجماعية من طرف الملوك الكاثوليك⁴، فاستقروا بمختلف المدن الزيانية بعد الضغط الذي تعرضوا له من قبل القشتاليين والقطلونيين

¹ Garrot Henri, Les Juifs Algériens-Leurs origines-, Librairie Louis Relin, Alger, 1898, p36.

² Maurice Eisenbeth, Les juifs en Algérie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours, Extrait de L'encyclopédie Coloniale et Maritime, Paris, sd, PP 8-9.

³ Dhina, Le Royaume Abdelouadide, op. cit., P 55.

⁴ Dhina, Le Royaume Abdelouadide, op. cit., P 55.



سنة 794هـ/1391م وقبلها، وتضاعف عددهم خلال سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م،⁵ فكان من بينهم رجال علم وأطباء ورجال ذوي سلطة ونفوذ ترجع أصولهم إلى الجزيرة الإيبيرية فأصبحت بلاد المغرب بالنسبة لهم أرض لجوء.⁶ ويسمون "حاملي القبعات baalé el kipron"⁷ أو الميغوراشيم Megorachim وتعني بالعبرية المطرودين.⁸

والجدير بالذكر أن مملكة عبد الوادي هي التي استقبلت أكبر عدد من هؤلاء المهاجرين اليهود سواء كان ذلك من حيث النوعية أو الكمية بفضل التسامح الكبير الذي أبداه ملوكها تجاههم⁹، فكان يظهر لهم بأن قدوم هؤلاء بأعداد كبيرة لن يؤثر على المخزن العبد الوادي وسيعود عليهم بفوائد اقتصادية جمة¹⁰، ونفس الأمر بالنسبة للمجتمع المسلم الذي لم يسجل منه أي احتجاج ضد هجرة اليهود إلى بلادهم رغم استمرار هجرتهم إلى بلاد المغرب على مدى قرون من الزمن¹¹.
غير أن الظاهر أن علاقة المهاجرين الجدد بالجالية القديمة كانت غير منسجمة بسبب الاختلاف في اللغة والمذهب والعادات والمفاهيم الاجتماعية والمنافسة الاقتصادية، وخاصة منها الهجرة الكبيرة التي كانت سنة 803هـ/1400م التي أحدثت أزمة بين الجدد والقدماء فتدخل الحبر "إفرايم انكاوا أو النقاوا Ephraïm Ankaoua" في مدينة تلمسان بين المتنازعين وقرب بينهما وكذلك تدخل كل من إسحاق بن شيشيت برفات Issac. b. Sheshet Barfat وشمعون بن سماح دوران Simon b. Semah Duran في مدينة الجزائر¹² (هذين الأخيرين كلفا تواليا من طرف السلطان الزياني برئاسة الطائفة اليهودية¹³).

وباستثناء تونس أين احتفظ اليهود الأوائل باستقلاليتهم، استطاع القادمون الجدد السيطرة على إخوانهم في الدين في باقي مناطق المغرب¹⁴.

ج- مناطق استقرار اليهود المهجرين:

تحدث المصادر عن خروج أكثر من 200 ألف يهودي -على الأقل- من إسبانيا في مرة واحدة سنة 1492م¹⁵ واستقر الكثير منهم في البلاد المغربية ولا سيما أراضي الدولة الزيانية -كما أسلفنا- بالإضافة إلى اليهود المستقرين سلفا بالبلاد. وأمام هذه الأعداد الهائلة فإنه من الصعب بمكان تحديد أماكن محددة لاستقرار اليهود وخاصة مع اندماج هؤلاء بالسكان المسلمين خاصة في المناطق الداخلية وممارستهم لحياة البداوة والترحال، لكن على العموم فإن المدن الساحلية هي

⁵ عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج 1، ص 193.

⁶ Dhina.A, Le royaume, op. cit., P55.

⁷ Garrot.H, Les Juifs Algériens op. cit., P36.

⁸ Eisenbeth, Les Juifs en Algérie, op. cit., PP 8-9.

⁹ برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ج 1، ص 434.

¹⁰ Dhina.A, op.cit, P55.

¹¹ برنشفيك، المرجع السابق، ص 433، 434.

¹² Dhina.A, op. cit., P55.434، مرجع سابق، ص 434.

¹³ Allouche, et Laloum, Les Juifs d'Algérie, P 12.

¹⁴ Garrot.H, op. cit., P36.

¹⁵ Haïm Zafrani, Juifs d'Andalousie et du Maghreb, Maisonneuve et Larousse, Paris, 1996, P214.



التي ضمت أكبر عدد من اليهود خاصة المهاجرين منهم¹⁶، لكن البعض يحدد عدد اليهود الذين لجأوا إلى مملكة تلمسان بحوالي 12000 يهودي¹⁷.

فأكثر المدن الزيبانية التي استقر بها اليهود: مدينة تلمسان، ووهران¹⁸ والجزائر وبجاية والغزوات ومعسكر وتقرت وواحة توات -التي طُرد يهودها من طرف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في ما بين 1488 و1492م- والتي شكلت قوة تجارية قوافلية مهمة آنذاك، وكذا استقر اليهود بغرداية وتمنطيط والأغواط¹⁹. وأشير وندرومة والمسيلة وتاهرت ومستغانم ومزغران وهنين وتوجرت وتنس ومليانة والمدية²⁰، كما أبعدها في التوغل نحو جنوب البلاد²¹.

أما عن إحصاء بعض العائلات أو الأفراد المشهورين المستقرين في أرجاء الدولة الزيبانية فنذكر على سبيل المثال لا الحصر²²:

مدينة الجزائر: إسحاق بارشيشات بارفات وسيمون بن سماح دوران وعائلة بلخير والأشقر.

وهران: عمار بن مرواس عفراطي.

المدية: سعدية دارمو.

تلمسان: أبراهام بن حقون وأفرايم أنكاوة وابن الأشقر.

مزغران: الاتزار ماينيش، بولاكس أنبروكس، امدازور اسحاق، بن ماندن بن هارون.

تنس: فازواتي أبراهام ومايمو، بن هابران، بن برشون.

مستغانم: عائلة حيون وهارون، ومرزوخ، مالقي سليمان.

بجاية: بنيامين عمار موسى كوبي.

وكانت كثير من هذه العائلات من الحاخامات ذات التأثير الكبير بين زملائهم الذين طردوا من إسبانيا وجزر البليار. ويرى أن السلطان الزيباني أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني استقبل اليهود وأذن لهم بالنزول في مملكته، فمثلا في مدينة تلمسان أنزلهم بالربط من "أغادير" وبقوا هناك مدة من الزمن يمارسون شعائهم الدينية وأعمالهم اليومية بكل حرية، ثم قرعهم إلى مكان يعرف بالمرجة²³ قرب قصر المشور فبنوا به حيا خاصا بهم عرف "بالحارة" وكان يضم حوالي

¹⁶ برنشفيك، مرجع سابق، ص 431.

¹⁷ Richard Ayoun, Algérie et Tunisie du XIIIe au XXe siècle, P509.

¹⁸ Alfred Bel, Tlemcen et ses environs: guide illustré du touriste, PP 134-135.

¹⁹ فوزي سعد الله، يهود الجزائر - هؤلاء المجهولون-، ص 102.

²⁰ Garrot.H, op. cit., P36؛ 432؛ مرجع سابق، ص 432؛

²¹ Dufourcq.Ch.E, Les relations de la péninsule Ibérique et l'Afrique du nord au XIV siècle, op. cit., P60.

²² انظر عن أسماء العائلات والأفراد: Maurice Eisenbeth, Les juifs de l'Afrique du Nord –Démographie et onomastique, Imprimerie du Lycee, Alger, 1936, P77-189; Dhina.A, Le royaume, op. cit., P 246-250; Garrot. H, Les Juifs Algériens, op. cit., P36; Dufourcq. Ch.E, L'Espagne catalane, op. cit., P325.

²³ محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج2، ص 41.



خمس مائة دار وكانوا يتمتعون بكثير من أنواع التسامح الديني وقيمون شعائهم بكل حرية في أمن ودعة وكانوا كلهم تقريبا أغنياء²⁴. وكان لهذه الطوائف اليهودية خاصة بتلمسان مقبرتها الخاصة ولها بيعتها ورئيس يدير شؤونها يدعى شيخ اليهود، ويكون همزة وصل بينها وبين السلطات التلمسانية الرسمية والطائفية وكان يسكن حارة اليهود ما يزيد عن ألفين وخمس مائة نسمة جلهم من الأثرياء، وكانوا يعيشون مع المسلمين في انسجام تام ويخالطونهم ويمثلونهم في العادات والتقاليد الاجتماعية، لكنهم تعرضوا للنهب والمضايقة بعد وفاة السلطان أبي محمد عبد الله (923هـ/1517م)²⁵ ولم يكن لليهود المغرب الأوسط الدور السياسي والاجتماعي الكبير مثل الذي قام به إخوانهم في المغرب الأقصى في عهد بني مرين إلا أنه كانت لهم مساهمة فعالة في الدورة الاقتصادية والحركة التجارية والصناعية، وشملهم عطف ملوك بني زيان ورعايتهم²⁶.

د- المناطق السكنية لليهود:

مال اليهود إلى التجمع والعزلة ورفضوا الاختلاط بالمجتمعات التي يسكنون فيها تطبيقا لتعاليم دينهم، الذي يحثهم على التعامل مع بقية الأمم بحذر والمحافظة على تميزهم، وتجنب الاختلاط إلا مع أبناء ديانتهم للمحافظة على نقاء عرقهم من جهة وتيسير أمر تطبيق شعائر الدين بسلاسة ويسر داخل مجتمع لا يضم إلا اليهود، ولهذا فقد جعلت منهم اليهودية أمة مستقلة بذاتها ودولة داخل الدولة ومجتمعا منغلقا²⁷، لذلك نجدهم قد اختاروا السكن بأحياء خاصة بهم في أنحاء دولة بني زيان، بالإضافة إلى الحماية التي تمتعوا بها من طرف ملوك هذه الدولة²⁸ الذين منحهم حق السكن في تجمعات تضمهم وحدهم، بالرغم من أنهم لم يمنعوا من السكن في أحياء تضم المسلمين²⁹، كما كان لهم حق التملك وحرية التصرف في أملاكهم يبيعون ويشتررون الأراضي والفنادق والمنازل لدرجة أنهم جاوروا المساجد في بعض الأحيان³⁰.

وفي تلمسان ومع قدوم طلائع المهاجرين الميغوراشيم استقبلهم الزيانيون فأسكنهم السلطان أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني وأنزلهم بالربط من "أغادير" وبقوا هناك مدة من الزمن يمارسون شعائهم الدينية وأعمالهم اليومية بكل حرية³¹. وبقي اليهود على هذه الحال إلى أن تدخل الحبر "إفرايم أنقاوة" في نهاية القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي³²، لدى السلطان الزياني بعد أن عالج ابنته من مرض عجز الأطباء عن إيجاد علاج له فسمح لهم بأن يتنقلوا إلى داخل مدينة "تاكرارات" فسكنوا بجوار قصر المشور حيث استقروا في شماله وشرقه³³ على بعد حوالي عشرين مترا منه إذ كان هذا المكان

²⁴ الوزان، حسن، وصف إفريقيا، ج2، ص 20.

²⁵ George Marçais, Tlemcen, les villes d'arts célèbre, Paris, Librairie Renouard, 1950, P 36 . Lucette, Valensi, Juifs et Musulmans en Algérie VIIe-XX Siècle, Edition Tallendier, Paris, 2016, P 42.

²⁶ دهبينة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، ص 490.

²⁷ Isidore Loeb, réflexions sur les Juifs, revue des études juives, La librairie A. Durlacher, Paris, T28, 1894, P163.

²⁸ Dhina, le royaume Abdelouadide, op. cit., P56.

²⁹ الونشريسي، المعيار المغرب، ج8، ص 437.

³⁰ المصدر نفسه، ج7، ص 52.

³¹ لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2011، ص 200.

³² Dhina.A, le royaume Abdelouadide, op. cit., P57.

³³ الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 20. Bel.A, Tlemcen, op. cit., P134.



يعرف بالمرجة وهو عبارة عن سبخة³⁴. وسعي الحي الذي نزلوه بالحارة وكان يضم حوالي خمسمائة دار لليهود يسكنها ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة جلهم من الأثرياء³⁵.

وابتداء من هذا التاريخ تدفق اليهود على مدينة تلمسان التي اعتبروها بمثابة "أورشليم منطقة وهران"، وكان منهم مهاجرون أندلسيون وآخرون من المغرب، وهذا ما يعتبره كثير من المؤرخين اليهود ميلادا جديدا للمجتمع اليهودي التلمساني، إذ ضمت هذه المدينة عدة عائلات من بينها: عائلة مارسيانو (من مرسية)، بارشيلون (من برشلونة)، جيان (من جيان)، أبناء نونيس المعروفون بين يونس³⁶، بالإضافة إلى عائلات "أنقاوة"، وهاكوهين، والأشقر، وخلص أو قلاش، وهذه العائلات كانت قد احتلت مكان الصدارة بين العائلات اليهودية الأخرى نظرا لأن أوائل القادمين منها إلى أراضي الدولة الزيانية كانوا إما رؤساء للطائفة أو حاخامات مشهورين أو علماء تفوقوا ونالوا شهرة عظيمة بسبب نبوغهم العلمي.

وكان الحي يضم مرافق متعددة وخاصة البيعة التي أطلق عليها اسم "El Ghessaline" التي ينتظم حولها السكان اليهود كما هو الحال في كل تجمعاتهم³⁷، إضافة إلى ممارستهم التجارة في الحي التجاري المسمى "القيسارية" المخصص للأوربيين أو اختلاطهم مع المسلمين في أحيائهم وأسواقهم ومزاولتهم الحرف المتنوعة³⁸.

وتجدر الإشارة إلى أن الجالية اليهودية في ظل الدولة الزيانية قد تمتعت بحق بناء البيع مثل البيعة المذكورة في مدينة تلمسان أو في مدن أخرى مثل منطقة توات الصحراوية والتي كانت سببا من أسباب ثورة الإمام المغيلي عليهم وقتله لكثير منهم³⁹، وكذا اتخاذ مقابر خاصة بهم مثل مقبرة اليهود في تلمسان الواقعة بمقبرة قباسة خارج باب القرمادين والمدفون فيها الحبر "أفرايم أنقاوة" والذي لا يزال قبره محط الرحال لليهود الذين يأتون لزيارته سنويا من أنحاء العالم⁴⁰، وفي مدينة الجزائر حيث يوجد قبرا الحبرين "بارفات ودوران" -السابق الذكر-.

وفي مدينة مستغانم الساحلية، أو مزغران المجاورة لها تواجدت جالية يهودية لا بأس بها، إذ بدأ اليهود يعرفون طريقهم إليها بعد ازدهار العلاقات التجارية بين بني عبد الواد ومملكة أرغون انطلاقا من القرن السابع هجري/الثالث عشر

³⁴ Raoul Darmon, origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, in Revue Africaine, OPU, Alger, V14, N°79, 1870, P379.

³⁵ الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 20. مارمول كاريخال، إفريقيا، ج 2، ترجمة محمد حجي وآخرين، دار نشر المعرفة، الرباط، 1408-1409 هـ/1988-1989 م، ص 298. وتسمى هذه الحارة "درب اليهود" انظر ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص 269. ولا تزال هذه التسمية إلى وقتنا الحاضر.

³⁶ Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, op. cit., P 136.

³⁷ Darmon, op. cit., P378.

³⁸ Bouziane-Oufriha Fatima-Zohra, Tlemcen capitale musulmane le siècle d'or du Maghreb central, Essai, Editions Dalimen, dans le cadre de "Tlemcen capitale de la culture islamique 2011", 2011, P325.

³⁹ المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص 47.

⁴⁰ شاوش، باقة السوسان، مرجع سابق، ج 2، ص 41.



ميلادي، فسكنتها عائلات يهودية كانت تابعة إما للمحكمة الربية بتلمسان أو لحاخامات مدينة الجزائر، ومن بين هذه العائلات التي سكنت أو مرت بمدينة مستغانم نذكر عائلات: مالقي، أستروش، سلومون، ألا تسور.⁴¹

كما عرفت المدينة تواجد عدة أحبار كانوا عبارة عن رؤساء طائفة في المدينة ووسطاء بين اليهود وأحبار الجزائر، ومن بينهم: "دافيد كوهين David Cohen"، "يعقوب سوسان Jacob Soussan"، "سعدية مديوني Sadia Medioni"⁴²، "مخلوف بن حنين Mekhlof Ben Hanin"، "أبراهام بن ناثن السفاردي Abraham Ben Nathan Sepharadi"⁴³.

2- النشاط الصناعي والحرفي لليهود في الدولة الزيانية:

ازدهر النشاط الصناعي خلال عهد الدولة الزيانية لا سيما في مدينة تلمسان التي كانت تموج بالفعل والصناع، على اختلاف صنائعهم وأصنافهم، واشتهر من بين هؤلاء كثير من الذميين خاصة اليهود منهم على اعتبار معرفتهم الواسعة للحرف والصنائع، ومزاولتهم لها منذ القدم، ورغبتهم في احتكار المجال الحرفي والصناعي ليُبقوا المجتمع الذي يعيشون في كنفه في حاجة دائمة لهم⁴⁴. بالإضافة إلى أن تعاليم دينهم تفرض على كل يهودي أن يعلم ابنه حرفة منذ صغر سنه، "يعتبر تعليم الابن مهنة من المهن فريضة شرعية... وعموما يتعلم الولد مهنة والده مثل الصياغة والنجارة"⁴⁵.

ومن المهم بمكان أن نذكر هنا إشارات عديدة لوثائق جنيزة القاهرة⁴⁶ إلى الحرف التي زاولها يهود القرون الوسطى، والتي بلغت حسب جواتياين « Goitein » 260 حرفة⁴⁷، وإذ يبدو هذا العدد كبيرا جدا فإن السبب يعود حسبنا إلى تعدد أسماء بعض الحرف أو اختلافها من بلد لآخر وكذا تفرع حرف أخرى إلى عدة حرف ثانوية.

ويمكن أن نذكر هنا أبرز الصناعات التي زاولها اليهود نذكر:

أ- الصناعات المعدنية:

⁴¹ Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, op. cit., P 144.

⁴² بقي لقب مديوني متداولاً بين العائلات اليهودية في تلمسان حتى في الفترة الاستعمارية، إذ عثرنا على اسم شخص يدعى "رافائيل مديوني Raphaël Médioni" من سكان مدينة تلمسان، ورد ذكره كعضو في إحدى اللجان الشعبية المجتمعة في مارس من سنة 1893م، ينظر جريدة Le courrier de Tlemcen, Vendredi le 03 Mars 1893, Trente-troisième année, N°1675, Imprimerie veuve des Ageux, Tlemcen, P3.

⁴³ Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, op. cit., P 145.

⁴⁴ المسيري، موسوعة اليهود والصهيونية، ج2، ص 375.

⁴⁵ حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص 84.

⁴⁶ تم اكتشافها في مقبرتين يهوديتين إحداها بالفسطاط والأخرى بحي البساتين بالعاصمة المصرية القاهرة وأطلق عليها اسم "جنيزة القاهرة" وتحتوي الوثائق التي تم العثور عليها مخبأة في صناديق قبل سنة 1890م وبلغت ذروة اكتشافها سنة 1897م على مراسلات وخطابات وعقود ومواثيق ومحاضر أرسلها اليهود لبعضهم البعض على مر عدة قرون وحفظت نسخ منها في هذا المكان. وقد كتبت هذه الوثائق التي جاوزت عدد مائة ألف وثيقة باللغة العبرية بحروف عربية أو حتى باللغة العربية، وحفظت بعد ذلك في مكتبات عالمية مختلفة في إنجلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ولا تزال لحد الآن مصدرا كبيرا للتاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني والثقافي للفترة التاريخية الممتدة من القرن الرابع حتى القرن الثامن الهجري الموافق للحادي عشر إلى الرابع عشر الميلادي، ليس فقط بالنسبة لليهود وإنما لكل الأجناس التي عاشرت تلك الفترة الزمنية، للاستفادة من وثائق جنيزة القاهرة انظر جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 189 وما بعدها.

⁴⁷ جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 167.

إن الصناعة المعدنية هي صناعة يهودية قديمة، وقد أدى نفور المسلمين من هذه الصناعات خاصة ما تعلق منها بالمعادن الثمينة كالذهب والفضة إلى احتكار اليهود لها بشكل ملفت⁴⁸، إذ يقول الحسن الوزان: "لا يمكن لأي مسلم أن يمارس مهنة صائغ، إذ يقال أن بيع المصوغات الذهبية والفضية بثمن أعلى مما يساويه وزنها يعتبر ربا، ولكن الملوك يسمحون لليهود بالقيام بهذا العمل"⁴⁹. ومع توافر ذهب السودان اشتهر يهود تلمسان خاصة بصياغة الذهب وأطلق على من يشتغل بهذه الصناعة "صورفيم" بالعبرية أي "ذهاب" بالعربية ويطلق اسم السكاك أو الصياغ على من يشتغل بالفضة⁵⁰. ولأن المسلمين قد عزفوا عن الاشتغال في هذه المهن فإن الصاغة اليهود لم يجدوا إلا الأسرى المسيحيين لتوظيفهم في هذه الحرفة خاصة في المدن الكبرى مثل مدينة الجزائر⁵¹.

وقد عرف اليهود بغشهم في أوزان الذهب، من ذلك ما روي أن اليهود يضعون داخل حبات الشعير التي يزنون بها للناس أطرافا من حديد يركزونها داخلها بعد ترطيبها بالماء وتجفيفها، فإذا وزنوا للناس استعملوها وإذا وزنوا لأنفسهم استعملوا غيرها⁵².

وقامت عدة صناعات تابعة لحرفة صناعة الذهب والفضة ومن ذلك تزيين البيوت والمحلات بأواني الذهب والفضة وبعض الأدوات ذات الاستعمال الشائع كالسروج واللُجَم⁵³، والأحذية والخفاف ذات السيور الذهبية⁵⁴، المكاحل والأمشاط وغيرها⁵⁵، مع تصديرها إلى مناطق مختلفة.

إلى جانب صناعة أدوات الزينة الذهبية والفضية كالسلاسل والأقراط والخواتم والخلخال والأساور التي تفننوا في إتقانها وأصبحت حكرا عليهم⁵⁶.

وقد اختص يهود مدينة تمنطيط إحدى المدن الكبرى لإقليم توات بإتقان حرفة صياغة الذهب والفضة، إذ كانوا يشترون الذهب الخام من القوافل التجارية القادمة من منابح الذهب في بلاد السودان ثم يقومون بصياغتها بأنواع وأشكال

⁴⁸ يرجع احتكار اليهود لصناعة الذهب والفضة كذلك إلى طبيعة سكان بلاد المغرب التي تتسم بالبداوة لذلك فهم أبعد الناس عن الصنائع كما يقول ابن خلدون، انظر المقدمة، ص 404. وقد استغل اليهود هذا الجانب فنقلوا مهاراتهم الحرفية إلى بلاد المغرب واستطاعوا السيطرة عليها، وسبب آخر هو التشتت والتنقل المتواصل لليهود بين أقطار العالم وتمدهم واحترافهم لمختلف المهن وأبرزها حرفة صناعة الذهب والفضة، انظر محمد عاشور وحسن ظاظا، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، القاهرة، 1975م، ص 113. وقد ساد اعتقاد غريب أدى إلى نفور السكان المحليين في بلاد المغرب من هذه الصناعة مفاده أن كل من يشتغل بها لا بد أن تكون له معرفة بالسحر، وينظر إليهم بسبب ذلك نظرة احتقار وخشية في الوقت ذاته مما فسح المجال واسعا أمام اليهود للولوج والسيطرة على هذه الصناعة، انظر روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت، 1967م، ص 153.

⁴⁹ انظر الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، ص 219.

⁵⁰ الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص 152.

⁵¹ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م، مقارنة اجتماعية-اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص 246.

⁵² جميلة بن موسى، اليهود وتجارة ذهب السودان الغربي، حولية المؤرخ العربي، العدد الأول، 2002، المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، ص 127.

⁵³ عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج 1، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م، ص 182.

⁵⁴ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج 2، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1992م، ص 207.

⁵⁵ الونشريسي، المعيار، ج 2، ص 502.

⁵⁶ الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، ص 150.

مختلفة من الحلي ثم تباع في الأسواق الداخلية التواتية أو في الأسواق الخارجية الشمالية منها والجنوبية ما جعلهم يكسبون من وراء ذلك أموالا طائلة وثروات كبيرة.⁵⁷

واشتهر عمل اليهود في قصر "تاملزيت" وهي الكلمة البربرية التي تعني في حد ذاتها مصهر الحديد أو مشعل الحداد، ويعود أصل التسمية إلى الجماعة اليهودية التي احترفت مهنة صهر الحديد في المنطقة.⁵⁸

كما عمل اليهود في مجال سك العملة وتخصصوا فيه رغم تحذير الفقهاء من ذلك وعلى رأسهم الإمام مالك الذي شدد على ذلك احتراما للفظ الجلالة المكتوب على النقود ولزيادة الضبط في الوزن.⁵⁹

وقد أدى إشراف اليهود على دور سك العملة إلى الإخلال في أوزانها والغش فيها بخلط الذهب بالفضة أو بالنحاس، ذلك أن أحبارهم يبيحون لهم غش المسلمين ويكذبون على أنبيائهم في وجوب إباحته، ويقولون لهم في مجالسهم إن أبا القاسم نبي العرب قال لأمتة: "من غشنا فليس منهم فإن غششتموهم فليست منهم، وإن لم تغشوهم فأنتم منهم".⁶⁰ وربما قاموا بضرب العملة خارج دور السكة والاتجار بها لصالحهم⁶¹، وقد وجدت لديهم دنائير ودراهم مغشوشة، مما أدى إلى نقص عوائد دور السكة وتضرر مداخل الدولة من جراء ذلك.⁶²

بالإضافة إلى صياغة المعادن النفيسة التي لاقت رواجاً واسعاً، عُرف اليهود بإتقانهم لحرفة تشكيل المعادن الأخرى والتي كان استعمالها واسعاً، نظراً للاحتياجات الحياتية، خاصة الحديد والنحاس، نظراً لتواجد هذين المعدنين في منطقة المغرب الأوسط فالحديد يوجد ببجاية ومدينة تفسرة⁶³ ومدينة كوكو⁶⁴، والنحاس بجبل كتامة⁶⁵، واستعمل اليهود معدني الحديد والنحاس وحتى القصدير لصناعة الأواني، والسيوف والخناجر والحرا⁶⁶ والسلاسل⁶⁷ والركب واللجم والحدوات

⁵⁷ قومي، دور الطائفة اليهودية بتوات، ص 94.

⁵⁸ رشيد بليل، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية، ص 192.

⁵⁹ عطاري، يهود المغرب الأقصى، ص 142. انظر أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955، ص 84.

⁶⁰ علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، نشر: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد 6، ع 1-2، 1378هـ/1958م، ص 178.

⁶¹ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 252.

⁶² الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص 181.

⁶³ تفسرة: مدينة صغيرة تقع على سهل يبعد خمس عشرة ميلاً عن مدينة تلمسان وفيها حدادون كثر لأنها قريبة من مناجم الحديد، وأهلها لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان، انظر الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 24.

⁶⁴ كوكو: مدينة تبعد عن الجزائر بثمانية عشر فرسخاً من جهة الشرق والجنوب، وعن مدينة بجاية بخمسة عشر فرسخاً من جهة الشرق، انظر مارمول، مرجع سابق، ج 2، ص 374.

⁶⁵ جبل كتامة: يقع بالقرب من مدينة جيغل الحالية وينسب إلى قبيلة كتامة، ويستخرج منه معدن الحديد والنحاس المصدر إلى جميع النواحي، انظر الهادي إدريس، مرجع سابق، ج 2، ص 104.

⁶⁶ عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، ص 11.

⁶⁷ المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 182.

للخيول ومهروا في صناعة السكاكين والملاعق والملاقط والخطاطيف والأمواس والإبر والأقفال. كما برع اليهود في صناعة الأدوات المتعلقة بالأعمال الفلاحية المتنوعة من آلات حرث وبذر وآلات الري والحصاد وعملوا على تأجيرها للمزارعين⁶⁸. واحتل النحاس مكانة أساسية في صناعة الشمعدان (بالعبرية مينورا) الذي يتشكل من سبعة أفرع ويحتل مكانة أساسية في إقامة الصلوات اليهودية ويشكل جزءا رئيسا داخل المعابد اليهودية وفي أماكن الاجتماعات⁶⁹. ولم تخل هذه الصناعات من غش اليهود إذ كانوا يطرقون المسامير القديمة ويبيعونها على أنها جديدة، وكانوا لا يصهرن الحديد جيدا فكان سريع الكسر، أو كانوا يصنعون المفاتيح التي تخصصوا فيها لأي شخص دون تثبيت من هويته، رغم تشديد المحتسبين على وجوب التحقق من هوية الشخص المصنوع له⁷⁰.

ب- الصناعات النسيجية:

احتلت صناعة النسيج ودباغة الجلود مكانة هامة في صناعات العهد الزباني إذ تبوأ درجة رفيعة في المنطقة كلها بل في العالم آنذاك، واشتهرت المنسوجات التلمسانية بجودتها وتفنها وبهايا وكثر الطلب عليها من التجار والأمرء.

وحصلت صناعة النسيج من الكتان على جانب كبير من الاهتمام إذ تواجدت بمدينة مقرة بإقليم الزاب واشتغل اليهود والمسيحيون بالعمل في كل مراحله بدءا من حصاده إلى إعداد تصديره مروراً بنسجه وصباغته⁷¹. وظهر كذلك ذميون يعملون في صناعة الصوف الذي توفر كثيرا في بلاد المغرب الأوسط نظرا لكثرة الأغنام واشتغل به نساء مدينة فكيك في إقليم سجلماسة فينتجون منه أغطية للأسرة دقيقة ورفيعة حتى يظن أنها من الحرير وتباع بأثمان مرتفعة بمدن فاس وتلمسان⁷²، وعرفت صناعة الصوف كذلك في مدن قسنطينة وميلة⁷³. ويزرع القطن في بلاد المغرب والذي عمل اليهود في تصنيعه حتى أننا

⁶⁸ عطا أبو ريه، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ص 122.

⁶⁹ المسيري، مرجع سابق، ج 2، ص 59. المنوراه ذات الأذرع السبعة من بين الرموز الدينية التي بقيت مقدس منذ القدم فهي وسيلة إنارة بالشمع أو الزيت يعني منارة شمعدان كانت توضع في القدس في اتجاه الجنوب على يسار الداخل لخيمة الاجتماع وقد قام بصنعها "بصلليل بن أوري بن حور" وهو من سبط يهوذا في أيام الهيكل الثاني انتشرت المنوراه ونقشها اليهود على المعابد والمقابر والميدانيات يعتقدون أن الشمعة الدائمة المركزية والتي لا تنطفئ ليل نهار ترمز لفلسطين والشعب تمثل العالم ومن ذلك فلسطين دليل لكل المخلوقات وقبله العالم الكوني تتجه إليها كل المخلوقات لأن الروح القدس تسري في فلسطين، وهناك منوراه أخرى تسمى حانوكياه نسبة إلى عيد الأنوار ذات ثمانية أذرع كانت قديما ذات مغزى سحري توضع في أعلى المباني.. للوقاية من الحسد والعين الشريرة وكأداة للزينة وقد ذكر اسمها لأول مرة في مؤلف أشكول هاكوفير (عنقود الكافر ليهودا هاوس في منتصف القرن 14 ولم تتخذ كشعار أو رمز لهم إلا حوالي ق16، أما في ق19 فقد ظهرت في درع عائلة روتشيلد عندما رفعه الإمبراطور إلى مرتبة النبلاء في 1656 م، استعملت للتمييز بين المدينة النصرانية (الصليب) واليهودية في فيينا على حجر الحدود وعندما طردوا من المدينة سنة 1701 م حملوها معهم إلى مختلف الدول أنظر رشاد عبد الله الشامي، الرموز الدينية في اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مصر، ضمن سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد 11، سنة 2000م، ص 35.

⁷⁰ ابن عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي، في آداب الحسبة، تحقيق حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، 1987، ص 80-81.

⁷¹ جواتيان، مرجع سابق، ص 168.

⁷² الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 132.

⁷³ نفسه، ج2، ص ص 60، 94.



نجد عائلات أطلق عليها تسمية المشتغل بصناعة القطن مثل النداف أو الحلاج⁷⁴، وخاصة بالقرب من سجلماسة في منطقة الهبط التي وجدت بها مزارع القطن⁷⁵.

وتأتي حرفة الصباغة على رأس الحرف التي اشتهر بها اليهود وتخصصوا بها كما تشير إلى ذلك وثائق الجنيزة⁷⁶، إذ عرفوا فنون صباغة الملابس فجلبوا الألوان العديدة واستخرجوها من النباتات أو استوردوها من البلاد المجاورة فاستعملوا لذلك الأرجوان واللاك والنيلة والشب والصمغ⁷⁷ والمصطكي والقرمز⁷⁸ والكبريت والزعفران وصبغة الأسبيداج، والتي تستخدم في صبغ المنسوجات كل حسب لونه، مع الإشارة أن أغلب هذه المواد قد عمل المسيحيون على تصديرها إلى مملكة بني عبد الوادي⁷⁹. وعرفت مدينة العباد بجوار تلمسان ومدينة دلس بالقرب من جزائر بني مزغنة بكثرة الصباغين بها لوجود عدد من الجداول والأنهار⁸⁰. كما تفنن اليهود في زخرفة الملابس بزخارف ملونة ورسومات مزركشة لا سيما رسوم الشمعدان (المينورا) أو النجمة اليهودية أو الكف لاتقاء العين والحسد⁸¹، واحتكروا كذلك تطريز المنسوجات بالذهب⁸². بالإضافة إلى حرفة دباغة الجلود التي برع فيها اليهود في مدن المغرب التي عرفت بكثرة تربية الماشية، بما فيها مدينة تلمسان التي استعملت فيها الجلود المدبوغة في صناعة سروج الخيل⁸³، وفي صناعة الرق الذي استعمل للكتابة وتغليف الكتب⁸⁴، أو تصنع منها الأخفاف والنعال والحقائب الجلدية لنقل البضائع والقرب لحمل الزيت والنبذ وأشياء أخرى مثل الدقيق والمحافظ لإرسال الأموال فيها⁸⁵.

ج- حرف وصناعات أخرى

وهناك مهن أخرى وصناعات عمل بها اليهود خلال عهد الزيانيين منها حرفة صناعة الكحل حيث تواجد منجم لمادة الإثمد التي يستخرج منها الكحل في منطقة "تازولت" بإقليم توات التي سكنها اليهود⁸⁶. وحرفة الجزارة حيث نجد إشارة عند صاحب المعيار الذي سئل عن بيع اليهود للطريف (وهو اللحم المحرم عند اليهود) فأجاب: "أن بيع الطريف ليس بحرام عندنا، وكان ابن القاسم يكره بيع الطرفان واشتراء اللحم من مجازر اليهود والنصارى.. وإنما كرهه استثقالا لكراهيتهم وأما حرام

⁷⁴ عثمان الكعاك، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1965م، ص 74.

⁷⁵ الونشريسي، المعيار، ج 8، ص 625.

⁷⁶ جواتيائين، مرجع سابق، ص 168.

⁷⁷ Dhina, Le royaume, op. cit., P 162-164.

⁷⁸ Charles-Emmanuel Dufourcq, Les relations de la péninsule Ibérique et l'Afrique du nord au XIV siècle, anuario de estudios medievales, instituto de historia medieval de Espana, Barcelona, 1970-1971, P 53.

⁷⁹ Dhina, Les états, op. cit., P 394.

⁸⁰ الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 24، 42.

⁸¹ عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي، ص 95.

⁸² الزعفراني، مرجع سابق، ص 153.

⁸³ أبو الحسن علي بن يوسف بن سعيد، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، 1970م، ص 140.

⁸⁴ Hirschberg, A history of the Jews, op. cit., V1, P 271.

⁸⁵ عطا أبو ريه، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ص 125-126.

⁸⁶ Jacob Oriel, Les Juifs au Sahara, P 146.



فلا"⁸⁷. كما عملوا في صناعة الخمر بسبب نفور المسلمين منها فكانوا يصنعونها من العنب خاصة ما أثار جدلا حول تحريم بيع العنب لأهل الذمة⁸⁸.

كما اعتبرت مهنة تحضير الأدوية والأعشاب الطبية مهنة يهودية بقدر ملحوظ في وثائق الجنيزة، إذ ورد ذكرها مرات عديدة⁸⁹، ويذكر ابن مرزوق في مسنده أن أحد اليهود في مدينة تلمسان اشتهر في مهنة الطب، إذ صنع للسلطان المريني أبي الحسن مرهما للتداوي به من وجع أصابه في كوعه الأيمن، بعد كان أجاد في شرح المرض وعلاماته وعلاجه، لكن هذا السلطان اشترط على اليهودي الإسلام فلما لم يجبه إلى ذلك رد عليه دواءه⁹⁰.

كما زاول أهل الذمة وخاصة النصارى منهم حرفا أخرى منها صناعة الزجاج والفخار والنجارة وبالأخص في عهد السلطان أبي تاشفين⁹¹. ويشير وجود بعض البقايا الخزفية في إقليم توات وخاصة في منطقتي "ويلميري" و"تلفزو" أو "تربزو" - الواقعة في حدود الواحات شمال وشرق مدينة تمنطيط-، إلى انتشار هذه الصناعة بشكل كبير، خاصة إذا علمنا أن هذه المنطقة كانت تضم عناصر يهودية كبرى⁹². كما اختص اليهود ببعض المهن الوضيعة منها حرفة البناء إذ يقول البكري عن أهل سجلماسة: "والبناؤون عندهم يهود لا يتجاوزون بهم هذه الصناعة"⁹³. وحرفة الكنافة وهي حرفة تختص بتنظيف القاذورات والمزابل وعن اختصاص اليهود بهذه الحرفة يقول صاحب الاستبصار: "فمن دخل في الكنافين من أصناف الناس سموهم المجرمين لاجترامهم على حرفة موقوفة على اليهود وقصروا البناء عليهم، خاصة لأنهم خائفون أبدا من أن يخون أحدهم المسلم فمهلكه"⁹⁴.

د- تأثير يهود الأندلس على النشاط الحرفي:

يبدو أن نشاط اليهود في المجال الحرفي والصناعي كان ملحوظا، لكن الحكم على تأثير يهود الأندلس عليه يظل صعبا، وذلك بسبب غياب النصوص الكافية لذلك، لكن يمكن إبداء بعض الملاحظات حول ذلك من خلال بعض الإشارات القليلة.

وأول هذه الملاحظات أن الدولة الزيانية كانت أكثر مناطق المغرب استقطابا للمهجرين الأندلسيين- كما تم ذكره سابقا-، هؤلاء الذي انتقلوا إلى البلاد ووظفوا خبراتهم في المجال الصناعي والحرفي هناك، مع ما كان يعرف به الأندلسيون من اتقان لمختلف الصناعات العملية حتى شبهتهم المصادر بأنهم صينيون في هذا المجال.

⁸⁷ الوئشريسي، المعيار، ج5، ص 250.

⁸⁸ أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج3، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ/ 1987م، ص 1281-1282.

⁸⁹ جواتيائين، مرجع سابق، ص 168.

⁹⁰ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوسبيغيرا، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص 381.

⁹¹ الميلي، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976م، ج2، ص 486-485.

⁹² Jacob Oriel, Les Juifs au Sahara, P 143.

⁹³ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر ديسلان سنة 1837م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 149.

⁹⁴ مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1985م، ص 201.



يضاف إلى ذلك إشارة مهمة تفيد بتضايق اليهود الأهالي بالمهاجرين الأندلسيين، الذين تفوقوا عليهم في المجال الحرفي، ويظهر ذلك جليا في تصريح الحاخام "سيمون بن سماح دوران" ردا على شكوى اليهود الأهالي من منافسة اليهود المهاجرين إذ قال لهم: "كنتم تعيشون في رخاء بفضل علاقاتكم مع العرب الذين كانوا بحاجة إلى صناعتكم، وكانوا يقدمون لكم أموالا تستفيدون منها في تجارتكم وتلبية حاجياتكم، لكن بعد قدوم المهاجرين لمدينتكم برؤوس أموال مكنتم من التفوق عليكم في الصناعة اليدوية فضلهم العرب عليكم لأنهم وجدوا عندهم ما هم بحاجة إليه"⁹⁵.

ولا شك أن تفضيل الساكنة في الدولة الزيانية لمنتجات يهود الأندلس، بفضل إتقانهم لها وهو ما يبرز تأثيرهم على هذا النشاط.

ومن مظاهر تأثير يهود الأندلس على النشاط الحرفي في البلاد تطوير بعض الصناعات، حيث يذكر بعضهم أن اليهود قد عملوا في مختلف الصناعات النسيجية فاشتغلوا باستخراج الحرير من دودة القز التي ربيت على شجر التوت هذا النشاط الذي طوره مع بقية المهاجرين الأندلسيين⁹⁶، فكانوا يبدؤون بتفكيك الشرائق أولا ليستخرجوا منها الخيوط الحريرية ثم يقومون بصباغتها، ولقد كانت هذه الصناعة صناعة متخصصة ومتشعبة اشتهر اليهود بإتقانها⁹⁷، وقد اشتهر الحرير بجودته خاصة في مدينة شرشال التي عرفت بصادراتها من المنسوجات الحريرية الفائقة الجودة⁹⁸.

كما اختص اليهود في بعض الصناعات الأخرى، وكانت إضافة يهود الأندلس جليلة واضحة، فمثلا أن اليهود ذوي الأصول المالقية في وهران كانوا يشرفون في ذلك الوقت وإلى غاية عصور متأخرة على صناعة الخمر⁹⁹. وبيعت الخمر خاصة للمسيحيين المتواجدين بالفنادق، وفي بعض الأحيان لبعض المسلمين الذين أدمنوا شربها.

وعليه فإن هذه الملاحظات والإشارات القليلة يمكن القول من خلالها أن لليهود الأندلسيين مشاركة في تطوير النشاط الحرفي والصناعي في الدولة الزيانية، سواء بممارستهم لمختلف هذه الحرف أو من خلال الإضافات التي كانت ضمن التأثير الأندلسي على البلاد بشكل عام.

خاتمة:

⁹⁵ Simon Ben Semah Duran, Réponse 393 in, Abitbol.M, Juifs Maghrébins et commerce transsaharien du XIII au XV^e siècle, Revue Française d'outre-mer, Paris, 1979, P 187.

⁹⁶ F.Diego.de Haedo, Topographia historia general de Argel, trad en Français par A.Berbrugger et MM.Monireau, in, Revue Africaine, N°14, 1870, Alger, p 372.

⁹⁷ جواتيائين، مرجع سابق، ص 168.

⁹⁸ مارمول كاريغال، إفريقيا، ج2، ص 356.

⁹⁹ Richard Ayoun et Bernard Cohen, Les Juifs d'Algérie, deux mille ans d'histoire, P 91.



من خلال التطرق إلى موضوع تأثير يهود الأندلس في الحرف والصنائع بالمغرب الأوسط استطعنا أن نتوصل إلى النتائج التالية:

- أن الهجرة اليهودية من الأندلس إلى بلاد المغرب الأوسط خلقت فئة جديدة من اليهود وهم الذين عرفوا باليهود المهاجرين أو الميغوراشيم.

- استطاع اليهود المهاجرون في ظرف وجيز السيطرة على المجتمع اليهودي في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني.

- تبوأ يهود الأندلس مركز السلطة والقيادة الدينية وأزاحوا اليهود الأهالي من المناصب التي تولوها لفترة طويلة.

- ظهرت عدة خلافات داخل المجتمع اليهودي بسبب سيطرة المهاجرين على مناصب القيادة الدينية.

- كان اليهود المهاجرون أصحاب حرف وصنائع فتفوقوا على أقرانهم الأهالي، وبذلك نالوا تفضيل العرب.

- أتقن يهود الأندلس حرفة الصياغة وبرعوا فيها، حتى أصبحوا يسيطرون على تجارتها، الأمر الذي درّ عليهم أموالاً طائلة، وجعلهم يسيطرون على دور سك العملة.

- عرف اليهود بإتقانهم لعدة صناعات منها صناعة الزجاج والفخار والنجارة والحدادة وغيرها، وكان تأثيرهم فيها جلياً.

- تفنن اليهود الأندلسيون في الصناعات النسيجية التي كانت تشتهر بها الأندلس في ذلك العصر، ولاقت تجارتهم رواجاً عالمياً.